مجلة المعيار ISSN :2588-2384
المجلّد 23 عدد: 45 السنة: 2019

قيم المكوّنات الصوتية وأثرها في بلاغة ألفاظ القرآن الكريم
دراسة في بعض مدونات التفسير واللغة

د. مبارك بلالي
كلية الآداب بجامعة أدرار
mebarekblali@yahoo.com

تاريخ الوصول: **2018/01/18** القبول: 2019/01/02 / النشر على الخط:2019/01/05
Received :.....l Accepted :.....l Published online :.....

ملخّص:

تحاول هذه السطور إلقاء الضوء الكاشف على المكون الصوتي في النص القرآني، والوقوف على أبعاده الدلالية وآثاره البلاغية، من خلال ما احتوت عليه بعض كتب التفسير واللغة وغيرها من شواهد وأمثلة، وبيان مواقف العلماء من ذلك، وطرائق توظيفهم لقيم الأصوات و أثرها في توجيه التفسير البلاغي للقرآن، بما يسمح بكشف أسرارها ومكنوناتها، عند علماء التفسير واللغة، الذين وجدناهم قد أنزلوا اللفظة القرآنية منزلتها، ووقفوا على خصائصها الصوتية و بينوا أثر ذلك في الدلالة على المعاني المرادة منها .

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ الأصوات ؛ الدلالة؛ البلاغة؛ ألفاظ القرآن؛ التفسير.

Values of the Phonetic Components and Their Impact on the Rhetoric of the Qur'anic words A Study of Some Interpretation and Language Records

Abstract :

This paper attempts to shed light on the phonetic component in the Qur'anic text and to identify its semantic dimensions and rhetorical values, through the illustrations and examples provided by interpretation, and language books. The paper also tackles the scholars' positions and methods of using sounds values and their role in orienting the rhetoric interpretation of the Qur'an, allowing the disclosure of its secrets and meanings by the scholars of interpretation and language who scrutinized the phonetic characteristics of the Qur'anic word and showed their impact on indicating the meaning desired from it.

المنارة للاستشارات
www.m

Keywords: language, sounds, semantics, rhetoric, words of the Qur'an, interpretation

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد،

فإن من أسرار الإعجاز القرآني ذلك النسق الصوتي العجيب في بناء ألفاظه، وتلك الصلة المدهشة بين خصائص وقيم الأصوات من جهة، وبين المعاني والدلالات المراد التعبير عنها من جهة ثانية، كل ذلك يحدث في تناغم للأصوات بعضها مع بعض، تناغم تستريح إليه النفوس، وتستعذبه الأسماع، فتنطلق فيه العقول متدبرة متأملة.

إن بحث قيم المكونات الصوتية في بلاغة اللفظة القرآنية يعد من أكثر الموضوعات التي حظيت بمناقشة واهتمام الدارسين لخصائص لغة القرآن الكريم، انطلاقاً من حقيقة أن الوقع الصوتي لألفاظ القرآن يلقي بظلال من التأثير النفسي الوجداني في نفس المتلقي لا يضاهيه أي وقع لغوي آخر، فألفاظ القرآن المختارة، تكونت من أصوات مختارة، فشكلت ظاهرة صوتية فريدة من نوعها، مكثفة في جرسها ونغمها وإيقاعها، وكذا في دلالاتها وإيحاءاتها ومعانيها، فغدت مصدرا بيانيا لا تنقضي عجائبهُ، يمد كل ظمآن بجرعات وجرعات من الأحاسيس الإنسانية النبيلة، فتسمو النفس بصاحبها إلى عليين.

اشتملت خطة البحث على خمسة مطالب؛ تناول **المطلب الأول** منها: بلاغة الجرس والتكرار الصوتيين في تركيب اللفظ القرآني.

وأما **المطلب الثاني**: فتناول القيمة الصوتية للصفير في أصوات (س، ز، ص). وأما **المطلب الثالث**: فعرض للقيمة الصوتية للمدّ في بعض ألفاظ القرآن. على حين تناول **المطلب الرابع**: التناسب الدلالي والبلاغي بين ألفاظ القالب الواحد. وأما **المطلب الخامس**: فعرض للمناسبة بين اللفظ والمعنى في ألفاظ القرآن.

وانتهى البحث **بخاتمة**، تضمنت أهمّ النتائج المحصَّلة.

المطلب الأول: بلاغة الجرس والتكرار الصوتيين في تركيب اللفظ القرآني.

المنارة للاستشارات
www.

استخدم القرآن الكريم مجموعة من الألفاظ لها جرس يوحي بدلالة معينة، تستشف من الصدى الصوتي الحاصل في الأذن، فالخوف والصراخ والزلزلة والكب والعنف والخصام كلها ألفاظ توحي بدلالتها من جنس صياغتها الصوتية، وقد وقف الزمخشري مع بعض ألفاظ التنزيل مستظهراً وجوه الدلالة الصوتية فيها على ما أريد لها أن تعبر عنه من تصوير مشاهد الخوف والفزع، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى:﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[1]:« يتصارخون: يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة»[2].

فالجهد والشدة كلمتان توحيان بأن الاضطراب قد بلغ مداه[3]، والصراخ قد تجاوز حدوده وبلغ بهم اليأس مبلغاً عظيماً فلا مغيث لهم ولا ناصر، ويتوافق ذلك مع ما في الصاد والطاء من إطباق يشبه إطباق العذاب على أهل النار من كل جانب، فهم محصورون هناك كما يحصر الصوت بين ظهر اللسان والحنك الأعلى فيطبق عليه حينئذ. وقد قال تعالى:﴿ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [4] لا صريخ لهم، الصريخ: صوت المستصرخ والمغيث[5].

فالصريخ من الأضداد، غير أنه يعني هنا المغيث إذ لا مغيث لهؤلاء الكفار مما هم فيه، وانظر إلى تقاطر الراء والخاء وبينهما ياء المد المستغرقة لكل أنواع الإغاثة وصنوفها، ووقوع الراء بين صوتين مستعليين، مما يوحي بهول الموقف وخروج الأمر عن السيطرة وذهاب كل أمل في النجاة.

- في قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[6]. قال الزمخشري:« الكبكبة تكرير الكبّ، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر

[1]- سورة فاطر الآية 37.
[2]- الكشاف، 3/ 310.
[3]- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 217/7.
[4]- سورة يس الآية 43.
[5]- المنشي، رسالة الأضداد، ص 43، دارسة وتحقيق: محمد حسين آل ياسين، دار عمار ،ط1، 2008.
[6]- سورة الشعراء الآية 94.

المنارة للاستشارات
www.m

في قعرها»[1]، وفي هذا تصوير لما يحل بالكفار في جهنم من كبّ على وجوههم، فنظراً إلى أن قاع جهنم قاع سحيق بعيد، فإنهم لا يزالون يهوون على وجوههم مرة بعد مرة حتى يستقروا في قاعها.

- في قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2]، قال الزمخشري:« (وزلزلوا) وأزعجوا إزعاجاً شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع، (حتى يقول الرسول) :إلى الغاية حتى قال الرسول ومن معه فيها (متى نصر الله) أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك، ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة، وفي هذه الغاية دليلٌ على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العِظم، لأن الرسل لا يُقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجّوا، كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها »[3].

فلنتأمل تقاطر الزاي واللام وهما صوتان مجهوران، يحدثان صدى سمعياً هائلاً، ثم ترنّم النون..كل ذلك يعطي انطباعاً باضطراب القلوب وتعاظم الخطب، وبلوغ الأمر مداه في الضجر وذهاب الصبر، حتى ينطق المرء منهم (متى نصر الله؟). وقد أضفى صفير الزاي مع جهرها أزيزاً يكاد يشبه أزيز النفس إذا بلغ بها الخطب مداه، وما ذلك إلا اضطراب القلب إذا بلغ به الضجر مبلغا عظيماً واستطال زمن الشدة. وقد ذكر الله تعالى في موضع آخر:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم﴾[4]، قال الزمخشري:«الزلزلة شدة التحريك والإزعاج، وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارّها ومراكزها »[5].

فذكر الإزعاج وهو التخويف الذي يحصل للناس إذا قامت الساعة، فالبعد التهويلي المفزع في لفظ (زلزل)، يأخذ على الناس قلوبهم وأفئدتهم.

---

[1]- الكشاف، مصدر سابق، 3/ 119.
[2]- سورة البقرة الآية 214.
[3]- الكشاف، مصدر سابق، 1/ 356.
[4]- سورة الحج الآية 01.
[5]- الكشاف، مصدر سابق، 03/3.

المنارة للاستشارات
www.m

● في قوله تعالى:﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾[1]، قال الزمخشري: «(ما غشّى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود»[2].

فالتهويل والتعظيم في لفظ الزمخشري، يدل على عِظَم ما حل بمدائن قوم لوط بحيث رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء، ثم أهوى بها إلى الأرض، بعد أن ألبسها الله تعالى ما ألبسها من الحجارة المنضودة، وتأمل تتابع الغين المستعلية الرخوة مع الشين المتفشية و الرخوة هي أيضا، وكيف أحدث هذا التتابع أثراً سمعياً يدل على الهول والعظم؛ فصفة الاستعلاء في الغين، وصفة التفشي في الشين من صفات القوة، التي تضفي على الصوتين ضخامة أدائية وظهوراً في النطق، ثم مجيء ألف المد(المقصورة) لتدل على الاستغراق في عقاب قوم لوط استغراقا يدل على عظم ما حل بهم من عذاب الله، نظير ما فعلوا من مخالفة أمر الله ودعوة رسولهم.

● في قوله تعالى:﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾[3]. قال الزمخشري: « رُجت حركت تحريكا شديداً حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء»[4]. فبناء(رجّ) يدل على التحريك والاضطراب قال ابن منظور:«معنى(رجت) حركت حركة شديدة وزلزلت»[5]، وقال الفراء:«(رجت)إذا زلزلت حتى ينهدم كل بناء على وجه الأرض»[6].

والمتأمل في اجتماع الراء المكررة المجهورة مع الجيم الشديدة المجهورة مع تشديدها، يلحظ الأثر الذي تحدثه صفة التكرير في الراء وهي من صفات القوة فيها، فإذا أجتمع إلى ذلك شدة الجيم وجهرها، ترك أثراً مهولا في النفس يبعث على الخوف والاضطراب من هذا المشهد الهائل الذي تنهدم له الجبال، ويخر له البناء، وتنشق له الأرض.. فياله من مشهد مفزع وحدث جلل!!

---

[1]- سورة النجم الآية 54.
[2]- الكشاف، مصدر سابق، 34/4، 35.
[3]- سورة الواقعة الآية 04.
[4]- الكشاف، مصدر سابق، 52/4.
[5]- ابن منظور، لسان العرب: 84/2(ر ج ج).
[6]- معاني القرآن ، 121/3.

المنارة للاستشارات
www.m

● في قوله تعالى:﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[1]، قال الزمخشري: «(فَدُكَّتَا) فدكت الجملتان جملة الأرضيين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيباً مهيلا وهباء منبثا، والدك أبلغ من الدق»[2].

فتركيب(دك) يدل على الكسر والدق و(دكتا): إي فدقتا دقة واحدة لا زيادة عليها أو ضربتا ضربة واحدة بعضها ببعض حتى صارتا كثيباً مهيلا، وهباء منبثاً... وقيل معنى دكتا أي: بُسطتا بسطة واحدة، ومنه اندك سنام البعير: إذا انفرش على ظهره[3].

وقد جعل الزمخشري دلالة الدكّ أبلغ من الدق، لأن الدك هو الزلزلة الشديدة، فاجتماع الدال الشديدة مع الكاف الشديدة هي أيضاً والمضعّفة، جعل من هذا التركيب غاية في الصلابة الدالة على انهدام الأرض والجبال واستوائها ومنه جاءت ناقة دكّاء: وهي المفترشة السنام في ظهرها، وأرض دكاء: أي مستوية[4].

المطلب الثاني: القيمة الصوتية للصفير في أصوات (س، ز، ص).

إن الوضوح السمعي القوى الذي تتمتع به أصوات الصفير يجعل لها وقعاً متميزاً في الأذن نتيجة لشدة رخاوتها واقتراب أسلة اللسان من أصول الثنايا اقترابا شديداً معها، مما يؤدي إلى اصطكاك الأذن اصطكاكاً قوياً تترك معه أثرا في النفس، ونحن هنا سنعرض لبعض النماذج من الاستخدام القرآني لأصوات الصفير ونبين أثر ذلك في مراد القرآن من تصوير لمشهد من مشاهد العذاب أو رسم معالم الحقيقة في أمر من الأمور، فتأمل قوله تعالى:﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[5]. قال الزمخشري:« الرجز والرجس: العذاب من قولهم: ارتجز وارتجس»[6].

---

[1]- سورة الحاقة الآية 14.

[2]- الكشاف، مصدر سابق، 151/4.

[3]- ينظر: محمود الطناحي، من أسرار اللغة، المكتبة المكية، مكة مكرمة ،ط1/ 2008، ،ص 645و646..

[4]- السجستاني، غريب القرآن ، ص 88.

[5]- سورة العنكبوت الآية 34.

[6]- الكشاف، مصدرسابق، 205/3.

المنارة للاستشارات
www.m

-فالرجز والرجس بمعنى واحد كما يبدو من ظاهر كلام الزمخشري-، وقال بعضهم[1]: «الرجز لغة في الرجس وأصل المعنى: الاضطراب والحركة العنيفة والارتعاش، ولذلك يطلقان على القذر لما تشمئز منه النفس وتضطرب، وعلى العذاب لإزعاجه الناس». ويظهر من هذا الكلام أن إبدالا ما حدث بين السين والزاي وأن إحدى التركيبين أصل، والآخر نشأ عنه، ثم إن التركيبتين ينتهيان بصوت من أصوات الصفير ذات الوضوح السمعي القوي، فيحس المرء بارتجاج واضطراب نتيجة لذلك الصدى السمعي القوي، ما يبعث في النفس يقيناً بوقوع العذاب، فيصرفها عن اقتراف ما اقترفه الذين نزل بهم ذلك العذاب من مخالفات وعصيان.

فالجرس الصوتي الصارخ الذي يحدثه التصاق أسلة اللسان بأصول الثنايا يحدث اصطكاكاً عظيماً في الأذن، ويفي بأداء المعنى والتأثير المرادين.

وأما إطلاق الرجز والرجس على ما تشمئز منه النفس وهو المعنى الذي أشار إليه الفراهي وقد ذكرنا تعريفه[2] من قبل، فإن هناك جملة آيات قرآنية اشتملت دلالاتها على هذا المعنى منها قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

وقوله تعالى:﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[4] .

وقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[5].

وقوله تعالى:﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[6].

---

[1]- عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن ،ص 355، وقال الجوهري في الصحاح:" الرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد، ومن هدير البعير، ورجست السماء ترجس، إذا رعدت وتمخضت، وارتجست مثله.. ويقال هم في مرجوسة من أمرهم أي في اختلاط. (الجوهري، الصحاح ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، 1402هـ، 933/3(ر.ج س)).

[2]- وهو قوله " الرجز لغة في الرجس... يطلقان على القذر لما تشمئز منه النفس وتضطرب .." (الفراهي، مفرادات القرآن، ص 355) و(ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 471).

[3]- سورة المائدة: الآية 90

[4]- سورة الحج الآية 30.

[5]- سورة الأحزاب الآية 33.

[6]- سورة المدثر ألآية 05.

المنارة للاستشارات
www.m

قال ابن قتيبة: « يعني بـ(الرجز) الأوثان سماها رجزاً والرجز العذاب، لأنها تؤدي إليه»[1]. وسواء الرجس بالسين أو الرجز بالزاي، فإن إطلاق اللفظين على النتن أو ما تشمئز منه النفس، يحدث أثراً في النفس يدعوها إلى الكف عما يعكر صفوها وفطرتها وطهرها، مبعث ذلك الإحساس هو ما تقوم به أصوات الصفير من نغم وإيقاع صارخين مدويين، يحملان دلالة الكف المباشر، والانتهاء عن تعاطي مثل تلك الأعمال التي لا تليق بطهارة وسمو النفس المؤمنة. ثم إن الذي يجعل أصوات الصفير تؤدي هذه الوظيفة الصوتية الدلالية بالإضافة إلى وضوحها السمعي، هو توالى صوتين مجهورين قبلها وهما الراء والجيم؛ الراء لما فيها من جهر وتكرير وهما من صفات القوة، والجيم لما فيها من جهر وشدة وهما أيضاً من صفات القوة، فتجتمع كل تلك الصفات لتجعل الدلالة الصوتية لأصوات الصفير دلالة قوية مؤدية للغرض المراد.

والحق أن صوتي الزاي والسين حظيا باهتمام بالغ لدى المحدثين، لما يتصفان به من قوة إسماع إذا قورنا بالصاد؛ فقد ذكر بعض المحدثين أن الزاي والسين «يوصفان غالبا بأنهما صفيريان (Sibilants) لما يصبحها من صفير وأزيز وهما في الحقيقة من النوع الاحتكاكي»[2].

وإذا وقفنا على دلالة الصاد وهي من أصوات الصفير في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[3]، بمكننا ملاحظة ما في هذا الصوت من الصدى المدوي والأزيز الصادح بالحقيقة المجلجلة التي طالما أخفتها امرأة العزيز، (حصحص) في تكرار الصاد الصفيري إشارة إلى جلاء الأمر وانكشافه، فلا تُرد دلائله ولا براهينه الساطعة، قال الزمخشري:« (حصحص) ثبت واستقر»[4]، وقال غيره:«(حصحص) لما دعا النسوة فبرأن يوسف قالت: لم يبق إلا أن يُقبلن علي بالتقرير فأقرت

[1]- تأويل مشكل القرآن ، مصدر سابق، ص 471.
[2]- ماريو باي، أسس علم اللغة ، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتاب، ط8، 1998، ص98.
[3]- سورة يوسف الآية .51
[4]- الكشاف، مصدر سابق، 376/2.

المنارة للاستشارات
www.m

وذلك قولها: الآن حصحص الحق. تقول: صاف الكذب وتبين الحق، وهذا من قول امرأة العزيز وقيل: حصحص الحق إذا ظهر وبرز»[1].

وتأمل أيضاً دلالة صوت الصاد في قوله تعالى:﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة العاديات: 10]. والمقصود بالصاد – محل الشاهد– هي الصاد في (حصّل)، فإن الملاحظ أنها جاءت مشددة والتشديد تكثير للفعل، والزيادة في المبني دليل على الزيادة في المعنى. وسواء أكان المراد: بـ (حصّل) أُظهر محصلا مجموعاً[2]، أم كان المراد: استخراج الذهب من حجر المعدن[3] على ما تقرره معاجم اللغة حول المعنى اللغوي الأصلي لـ (حصل).. فإن التحصيل عموماً إخراج اللب من القشور، وقد جاء صوت الصاد في معرض وعيد من الله لمن عصاه في الدنيا، بأن يخرج ما كان مدفونا في الصدور، ويكشف ما كان مستوراً فيها. والصاد صوت مفخم مطبق تحدث باندفاع الهواء حتى موضع خروجهِ، إذ إن طرف اللسان يكون تجاه مقدم الحنك المخطط بينهما فرجة ملحوظة، وكتلة اللسان مرتفعة مقابل سقف الحنك، والأسنان متقاربة، لكنها غير منطبقة، والحنك اللين مرتفع يسد طريق النفس من الحنك، ولا يتذبذب الوتران، فينفذُ الهواء باتجاه الثنيتين العليين إذ يسمع صوتها مصفراً مطبقاً[4].

وهذا الصفير والإطباق هما أبرز الخصائص القوية وراء جرس الصاد القوي الصارخ.

المطلب الثالث: القيمة الصوتية للمدّ في بعض ألفاظ القرآن.

اشتمل النص القرآني على مقاطع صوتية استغرقت بمواصفاتها الصوتية الخاصة حدود المد والطول الشديد، و وهي بدلك تحمل دلالات معبرة تعبيرا يتجاوز الإيحاء إلى إفادة المعاني المتكاثرة، من تلك الألفاظ والمقاطع: الحاقّة، الطامّة، الصاخّة، دابّة، كافّة، فهذه الصيغ تمتاز صوتياً بصداها الصوتي البعيد والمدوي، يتفاعل مع النفس مترقباً للمجهول من حقائق ومفاجئات ونوازل. قال الزمخشري في

[1]– لسان العرب، مصدر سابق، 468/4 (حصص).
[2]. الكشاف، مصدر سابق، 4/ 279، و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 100/10.
3. الفيومي، المصباح المنير، ص 139–.
[4]. محي الدين رمضا ن، في صوتيات العربية ، ص 144.

المنارة للاستشارات
www.m

تفسير قوله تعالى:﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[1]: «الأصل الحاقة ما هي: أي شيء هي؟ تفخيماً لشأنها وتعظيماً لهولها..»[2] ، وقال في تفسير قوله تعالى:﴿فإذا جَاءَتَ الطَامَّة الكُبَرى﴾[3]«(الطامة) الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب، وهي القيامة لطمومها على كل هائلة»[4].

فأصوات المدّ في (الطامة) و(الحاقة) جاءت مستغرقة، صارخة، مهوّلة، وتأمل ذلك في (الصاخة)، وفي ما جاء بغير تعريف كدابّة وكافّة في قوله تعالى:﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[5]، وقوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[6].

فالمد المستغرق في لفظة (دابّة) استغرق المخلوقاتِ كلها المعروف منها وغير المعروف، ما يُرى وما لا يُرى، كما استغرق الأزمان كلها والأمكنة كلها التي سخرها الله لهذا المخلوقات، كما أن المد المطلق في(كافّة) يستغرق جميع الأزمنة والفئات من البشر، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – ليس مختصا في إرساله إلى الناس بفئة دون أخرى، أو أمة دون أخرى، فهو رسول للعالمين. فناسب المد الصوتي في الألف (الفتحة الطويلة) ما أريد له من الشمول والاستغراق والإحاطة في الدلالة على مطلق الدواب التي خلقها الله، ومطلق البشر في كل زمان ومكان.

على أن الحرف المشدد في تلك المقاطع ساعد من الناحية الصوتية على مدّ الألف مدّاً مطلقا لإحداث التأثير المطلوب، والوفاء بالمعاني المرادة. وقد أطلق ابن جني على هذا النوع من المد "المطل" قال:«والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة، وهي الألف والياء و الواو... اعلم أن هذه

---

[1]. سورة الحاقة الآيات1و2و3..
[2]. الكشاف، مصدر سابق، 4/ 149.
[3]. سورة النازعات ألآية 35.
[4]. الكشاف، مصدر سابق، 215/4.
[5]– سورة هود الآية 06.
[6]– سورة سبأ الآية 28.

المنارة للاستشارات
www.m

الحروف أين وقعت ففيها امتداد ولين.. إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها وتتمكن مدتها ثلاثة؛ وهي أن تقع بعدها الهمزة أو الحرف المشدد أو أن يوقف عليها عند التذكر»[1]، وواضح أن المد الصوتي الممطول –بتعبير ابن جني – يحتاج إلى نسبة عالية من الضغط والارتكاز، ويتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أعلى، ويسمى المحدثون هذا النوع من المد بـ"النبر الطولي" ويتمثل في إطالة النطق بالمقطع المشتمل على حرف مد، فوق ما جرت به العادة في نطقها[2].

إن هذا المد الصوتي غير الطبيعي يحمل دلالة تقرير حقيقة البعث، وأن ذلك اليوم . يوم النشر– آت لا محالة، وأنه ليس مما عهد الناس وألفوه. وما يتوافق ويتوازي مع هذا المعني من الناحية الصوتية هو الأداء الجهوري لألف المد، مما يحدث جلجلة مدوية وإيقاعاً هائلا، فإذا استقر في النفس أن الطامة، والصاخة، والحاقة هي أوصاف لذلك اليوم مع ما تحمله هذه المقاطع من حمولات لغوية دلالية ذكرها علماء التفسير والمعاجم، أحدث ذلك أثرا عظيما هائلا يترجم إلى يقين يستقر في الوجدان ويبعث على العمل لذلك اليوم الموعود، قال الفراء: «(الحاقة) القيامة سميت بذلك لأن فيها الثواب والجزاء»[3].

وقال الزمخشري في الأساس عن لفظة (الصاخّة): (الصاخّة): الداهية الشديدة وسمعت للحجر صخة وقد صخ صخيخا وهو صوته إذا قُرع[4]. ولاشك أن الداهية الشديدة أراد بها الزمخشري القيامة وقد ذكر في الكشاف في تفسير (الصاخّة) بأنها النفخة؛ وُصفت النفخة بالصاخة مجازاً لأن الناس يصخون لها.[5]

[1]– ابن جني، الخصائص، 2/ 352.
[2]– أحمد عبد التواب الفيومي، أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، ،ص 178.
[3]– الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، 3/ 179.
[4]– أساس البلاغة، ص 349.
[5]– الكشاف، مصدر سابق، 220/4.

المنارة للاستشارات
www.m

والصاخة القيامة وبه فسر أبو عبيدة قوله تعالى:﴿فإذا جَاءَتِ الصّاخّة﴾[1].فإما أن يكون اسم الفاعل من صخ يصخ، وإما أن يكون المصدر؛ وقال أبو إسحاق (الزجاج) الصاخة: هي الصيحة التي تكون فيها القيامة تصخ الأسماع أي تصمها فلا تسمع إلا ما تدعى به الأحياء.

وتقول صخ الصوت الأذن يصخها صخاً...وفي حديث ابن الزبير وبناء الكعبة فخاف الناس أن يصيبهم صاخة من السماء، هي الصيحة التي تصخ الأسماع أي تقرعها وتصمها. قال ابن سيدة: الصاخة صيحة تصخ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدتها، ومنه سميت القيامة الصاخة[2].

وقال القرطبي:«(الصاخّة): الصيحة التي تكون عنها القيامة وهي النفخة الثانية تصخ الأسماع: أي تصمها فلا تسمع إلا ما يدعى به الأحياء. وذكر ناس من المفسرين قالوا: تصيخ لها الأسماع من قولك أصاخ إلى كذا: أي استمع إليه ومنه الحديث« ما من دابة إلا وهي مصخية يوم الجمعة شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس».. قال الخليل: الصاخة: صيحة تصخ الآذان صخاً أي تصمها بشدة وقعها، وأصل الكلمة في اللغة: الصك الشديد وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر: إذا صكه، ومن هذا الباب قول العرب صختهم الصاخة وباتتهم البائتة وهي الداهية قال ابن العربي: الصاخة التي تورث الصمم وأنها لمسمعة..لعمر الله إن صيحة القيامة لمسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة[3].

وأما لفظ (الطامّة) التي فسرها الزمخشري[4] بالداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب، وهي القيامة لطمومها على كل هائلة، فإن هذا اللفظ بما اشتمل عليه من أصوات تحمل صفات قوية، مناسب وموافق للمعنى الهائل المراد تصويره؛ فالإطباق والتفخيم الذي في الطاء وما ألقته هاتان الصفتان من ظلال تفخيمية على صوت الألف يضاف إلى ذلك تشديد الميم، كل ذلك أسهم في تقرير الدلالة

[1]- سورة عبس الآية 33.
[2]- ابن منظور، لسان العرب، 436/2(ص خ خ).
[3]- القرطبي، الجامع لأحكام الفرآن ، 134/10.
[4]- الكشاف، مصدر سابق، 215/4.

المنارة للاستشارات
www.m

الصوتية وجعلها موافقة لمعنى الطامة في كلام العرب، فقد استخدمت العرب الطامة في الداهية العظيمة التي تغلب ما سواها، وأية داهية أعظم من القيامة!؟ إنها الداهية الكبرى.

المطلب الرابع: التناسب الدلالي والبلاغي بين ألفاظ القالب الواحد.

نعني بذلك أن القرآن الكريم سمى بعض مسمياته بأسماء متعددة ذات قالب صوتي واحد، ومجموع مقاطع متشابهة في نسق صوتي متجانس، يدل ببنائهِ الصرفي على مضمونه، وبجرسه الصوتي على معناه، من ذلك تسمية القرآن للقيامة بأسماء متقاربة الصدى موحدة الجرس، فألفاظ مثل القارعة، الواقعة، الآزفة، الراجفة، الرادفة، الغاشية، تدل بجرسها الصوتي على معاني متعددة تلتقي عند حقيقة واحدة وهي تصوير مشاهد ذلك اليوم الذي لا خلاص منه، الواقع لا محالة، يقرع بقوارعهِ ويفجؤ برواجفه يغشي بحوادثه... القالب الواحد والنعيم المتوازن والسكت المفزع، كلها عوامل تحدث صدى صوتيا هائلا.. تترقب معه النفسُ المجهولَ المنتظر والحادث النازل.

- قال تعالى:﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[1]. قال القرطبي: «(القارعة) أي القيامة والساعة كذا قال عامة المفسرين وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها، وأهل اللغة يقولون: تقول العرب: قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة إذا وقع بهم أمر فظيع »[2].

وذكر الزمخشري في تفسير الآية بأن القارعة هي التي تقرع[3]. وأما في تفسير قوله تعالى:﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَة ﴾[4]. فقد قال الزمخشري:« داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم.. فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شررها ويتعدى إليهم شرورها»[5].

---

[1]- سورة القارعة الآية3.
[2]- الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، 101/10.
[3]- الكشاف، مصدر سابق، 279/4.
[4]- سورة الرعد الآية 31.
[5]- الكشاف، مصدر سابق، 361/2.

المنارة للاستشارات
www.m

وجاء في لسان العرب« القارعة كل هنة شديدة القرع وهي القيامة والقارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم، ولذلك قيل ليوم القيامة القارعة. ويقال قرعتهم قوارع الدهر أي أصابتهم، ونعوذ بالله من قوارع فلان ولواذعهِ وقوارص لسانه، وفي حديث أبي أمامة: من لم يغز أو يجهز غازيا أصابه الله بقارعة أي بداهية تهلكه، يقال: قرعه أمر إذا أتاه فجأة، وجمعها قوارع، الأصمعي: يقال أصابته قارعة يعني أمراً عظيماً يقرعه، ويقال: أنزل الله به قرعاء وقارعة ومقرعة، وأنزل الله به بيضاء ومبيضة هي المصيبة التي لا تدع مالا ولا غيره»[1].

ولنتأمل تركيب القارعة وما اشتمل عليه من أصوات تقرع السمع وتهز الوجدان، لما للقاف والعين من صفات النصاعة وضخامة الجرس يقول الخليل: « ..العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً، فإذا اجتمعتا في بناء حسن البناء لنصاعتهما»[2]، وفي هذا الكلام إشارة إلى قوة القاف والعين في قوله:« وأضخمها جرساً»، ولعلها إشارة إلى قوة العين بجهرها وترددها بين الشدة والرخاوة، وقوة القاف باستعلائها وتفخيمها وشدتها .

- قال تعالى:﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[3]. قال الزمخشري في تفسير الواقعة:«..(هي) كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة، وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل: إذا وقعت لابد من وقوعها، ووقوع الأمر نزوله»[4].

- وقال القرطبي:«..(إذا وقعت الواقعة) أي قامت القيامة والمراد النفخة الأخيرة، وسميت واقعة لأنها تقع عن قرب، وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد»[5]. وقال ابن منظور: " الواقعة: الداهية والواقعة النازلة من صروف الدهر والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة وقوله تعالى:﴿إذا وقعت الواقعة﴾، يعني القيامة.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، 242/5 . 243(ق ر ع).

[2]- العين : 54/1.

[3]- الواقعة الآية 1،2.

[4]- الكشاف، مصدر سابق، 4/ 51.

[5]- الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق، 9/ 122.

المنارة للاستشارات
www.m

قال أبو إسحاق: يقال لكل آت يتوقع قد وقع الأمر، كقولك: قد جاء الأمر، قال والواقعة ههنا: الساعة والقيامة»[1].

ومما يؤخذ من تلك الأقوال أن الواقعة هي النازلة، وهي الداهية، وهي الحادثة، وكلها أسماء ليوم القيامة جاءت على قالب واحد وهو اسم الفاعل الدال هنا على معنى الثبوت لا التجدد، أي ثبوت تلك الأوصاف لليوم الآخر ثبوتاً مؤكداً يفيده التعبير بصيغة اسم الفاعل المكررة[2]. وأما الدلالة الصوتية لهذه الأوصاف في قالبها الواحد، فتتجلى في معني السقوط والنزول من أعلى من غير توقع، وأكثر ما جاء ذلك في القرآن الكريم في مواطن الشدة والعذاب والعقاب واليوم الآخر.

- قال تعالى:﴿أَزِفَتْ الآزِفَة لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[3]. قال الزمخشري: «(أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب»[4]. وقال في الأساس:« الآزفة القيامة لأزوفها»[5].

وقال القرطبي:« ...أزفت الآزفة أي قربت الساعة ودنت القيامة، وسماها آزفة لقرب قيامها عنده، وقيل سماها آزفة لدنوها من الناس وقربها منهم ليستعدوا لها، لأن كل ما هو آت قريب، وفي الصحاح: أزف الترحل يأزف أزفاً أي دنا وأفد، ومنه قوله تعالى: (أزفت الآزفة) يعني القيامة»[6].

وقال ابن منظور:«(الآزفة) القيامة لقربها وإن استبعد الناس مداها قال تعالى:(أزفت الآزفة) القيامة أي دنت القيامة»[7].

ويؤخذ من تلك الأقوال أن مادة(أ ز ف) تدل عموما على القرب والدنو، و للتعبير عن هذه المعنى وظف القرآن الكريم صوتي الزاي الرخوة الصفيرية والفاء الرخوة التأفيفية (نسبة إلى صفة التأفيف)؛

---

[1]- لسان العرب ، مصدر سابق، 5/ 368 (و ق ع).
[2]- عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، د/ط 2002.، ص 241.
[3]- سورة النجم الآيتان 57و58.
[4]- الكشاف، مصدر سابق، 35/4.
[5]- أساس البلاغة، مصدر سابق،، ص 15.
[6]- الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، 9/ 78.
[7]- لسان العرب، مصدر سابق، 5/ 422 (أ ز ف).

المنارة للاستشارات
www.m

فبما للزاي من رخاوة بالغة يتسرب معها الهواء إلى خارج الفم، ويصاحبه أزيز الصفير المدوي، ويتبعه انتشار هواء الفاء خارج الفم(وهو المراد بالتأفيف).. يدل ذلك كله على أن إيقاف حلول القيامة مستحيل، وأن وقوعها حتمى لا مرد له، ويدعم هذا المعني ذلك المد الصارخ المنبعث من الجوف الذي يلقي بسلطانه الصوتي، الناشئ عن اهتزاز وأزيز الأوتار الصوتية، يلقي به في أتون هذا المشهد الهادر النازل الواقع.. مشهد القيامة الكبرى.

- قال تعالى:﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[1]. قال الزمخشري: «(الراجفة) الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال وهي النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها (تتبعها الرادفة) أي الواقعة التي تردف الأولى وهي النفخة الثانية، ويجوز أن تكون الرادفة بمعنى القيامة التي يستعجلها الكفرة. وقيل الراجفة الأرض والجبال.. والرادفة السماء والكواكب لأنها تنشق وتنشر كواكبها على إثر ذلك».[2]

وقال الزمخشري في الأساس: « رجف البحر: اضطربت أمواجه[3]، وفي هذا المعنى اللغوي إشارة إلى ما يحل بالأرض والجبال والدواب وغيرها من اضطراب وتحول. وقد فسر الفراء(الراجفة) و(الرادفة) بالنفخة الأولى والثانية»[4].

وقال القرطبي: «الراجفة أي المضطربة كذا قال عبد الرحمان بن زيد، قال: هي الأرض والرادفة الساعة. مجاهد:(الرادفة)، الزلزلة و(الرادفة) الصيحة، وعنه أيضاً وابن عباس والحسن وقتادة.. هما الصيحتان: أي النفختان. أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله تعالى، وأما الثانية فتحي كل شيء بإذن الله تعالى»[5].

فمعاني: الواقعة، النفخة الأولى، النفخة الثانية، الاضطراب، الصيحة، كل ذلك تدل عليه لفظتا (الراجفة) و(الرادفة) ذوات الوقع الصوتي الهائل؛ فالراجفة: الدالة على التزلزل والاضطراب والصياح وتبدل معالم الأرض.. يتعالق فيها تكرار الراء مع جهر الجيم وتأفيف الفاء، مضاف إليها ذلك المد

---

[1]- سورة النازعات: 7/6.
[2]-الكشاف : 4/ 212.
[3]- أساس البلاغة، مصدر سابق، ص 222.
[4]- معاني القرآن، ،مصدر سابق، 3/ 231.
[5]- الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، 118/10.

المنارة للاستشارات
www.m

الهائل، وهاء السكت المنبئة عن مجهول سيقع، بل إن الراجفة ليست لحركة الأرض والأحياء فقط، فهي أيضاً من قولهم: رجف الرعد يرجف رجيفاً ورجفاً إي: أظهر الصوت والحركة، ومنه سميت الأراجيف، لاضطراب الأصوات بها[1].

فيتناسب –إذا– معنى (الراجفة) صوتا ودلالة مع الاستعمال العربي لمادة رجف في الدلالة على حركة الأشياء واضطرابها وحركة أعضاء النطق وأدائها.

وأما الرادفة فتتوافق في الصدى والوزن مع معالم الواقعة، والآزفة، والقارعة، خاصة وأنها تشتمل على تتابع صوتي مجهور تتذبذب معه الأوتار الصوتية، وهي أصوات: الراء والمد والدال وما فيها من جهر، وهو أمر مناسب لمشهد بعث الناس والخلائق وانتشارهم وتلقيهم لصيحة البعث والنشور، فجهر هذه الأصوات يكاد يعبر عن صيحة الحشر في ذلك اليوم الموعود.

- قال تعالى:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾[2]. قال الزمخشري:«(الْغَاشِيَةِ) الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة وقيل النار»[3]. وقال القرطبي:« (الْغَاشِيَةِ) النار تغشى وجوه الكفار.. وقيل تغشى الخلق.. وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لأنها تغشى الخلائق. وقيل(الْغَاشِيَةِ): أهل النار يغشونها ويقتحمون فيها[4]. وقال ابن منظور:« الْغَاشِيَةِ الداهية من خير أو شر أو مكروه ومنه قيل للقيامة: الغاشية، وأراد في غشية من غشيات الموت»[5].

فالغاشية اسم من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لأنها تغشى الناس بأهوالها وتفجؤهم بشدائدها، أو أنها النار التي تغشى وجوه الكفار، وهي الداهية الطامة، التي تحيط بالناس من كل جانب، وتملأ قلوبهم فزعاً وخوفاً. و(الْغَاشِيَةِ) التي تتآلف فيها الغين الطبقية الرخوة المفخمة مع الشين المتفشية الرخوة، ينضاف إليهما صوت المد (الألف) فتقترب في صداها الصوتي من مناخ الواقعة والقارعة

---

[1]– المصدر نفسه، 118/10.

[2]– سورة الغاشية الآية 1.

[3]– الكشاف، مصدر سابق، 4 /246 ، وينظر: أساس البلاغة، مصدر سابق، ص 451.

[4]– الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق، 17/10.

[5]– لسان العرب ، مصدر سابق، 568/8.

المنارة للاستشارات
www.m

والراجفة والرادفة وغيرها، فتكون هذه الصيغة في بنائها السائد حافلة في دلالتها الصوتية بالأهوال والأفزاع والأحداث الجسام، أحداث يوم القيامة، اليوم الذي لا مرد له:﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1] .

المطلب الخامس: المناسبة بين اللفظ والمعنى في ألفاظ القرآن.

استخدم القرآن الكريم طائفة من الألفاظ الموحية بمعناها من جرسها، بحيث تكون الأصوات دالة بجرسها على معنى اللفظ الذي يتركب منها، كما أن اللفظ بمعناه يحاكي طبيعة الأصوات من حيث جرسها وأداؤها. وقد ألفت الأقدمون إلى هذا النوع من الألفاظ الموحية، وأغلب الظن أن بذرة هذه الفكرة، قد وجدت عند قدامى النحويين واللغويين؛ فقد رُوي عن الخليل أن العرب قالوا في الدلالة على صوت الجندب: صرّ لأن في صوته امتداداً واستطالة، أما البازي فدلت العرب على صوته بالفعل صرصر، لأن فيه تقطيعاً وعدم استمرار. وقد خص ابن جني هذا النوع من الألفاظ بباب مستقل في كتاب الخصائص سماه "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" ومما ذكر فيه: "العسف والأسف؛ العين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعيين[2].

ونشير فيما يلي لأمثلة هذا النوع من الدلالة الصوتية في شواهد الزمخشري وغيره من اللغويين والمفسرين.

- لفظ "**ينعق**" في قوله تعالى:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[3].

قال الزمخشري:«(كمثل الذي ينعق)، ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق. والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان، ولا

[1]- سورة إبراهيم الآية 48.
[2]- الخصائص، مصدر سابق، 499/1.
[3]- سورة البقرة الآية 171.

المنارة للاستشارات
www.m

استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها، ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون»[1].

وذكر ابن منظور في تفسير هذه الآية عن الفراء قوله:« أضاف المثل إلى الذين كفروا ثم شبههم بالراعي، ولم يقل كالغنم، والمعنى والله أعلم مثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فأضاف التشبيه إلى الراعي والمعنى في المرعي قال: ومثله في الكلام: فلان يخافك كخوف الأسد، المعنى كخوفه الأسد لأن الأسد معروف أنه المخوف، وقال أبو إسحاق: ضرب الله لهم هذا المثل وشبههم بالغنم المنعوق بما لا يسمع إلا الصوت، فالمعنى مثلك يا محمد ومثلهم كمثل الناعق والمنعوق بما لا يسمع، لأن سمعهم لم يكن ينفعهم فكانوا في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع».[2]

وما يلاحظ على هذه الأقوال أن وجه الدلالة في (ينعق) هو: صوت الراعي إذا صوت بالغنم، ومن حكاية استدعاء الغنم عند العرب قولهم دع دع[3]، فصوت العين المتسم بالنصاعة والوضوح السمعي نتيجة لجهره اشتملت عليه مادة(ينعق)، وكأنها تدل في ذاتها على النداء أو التصويت بالغنم، فصوت الحكاية في نظرنا هنا هو العين وجيء بالنون لتسهيل عملية النطق، والقاف لتوهم إنهاء الحكاية عند مخرجه. وما يجدر ذكره أيضا في هذا الموضع، أن حكاية زجر الإبل لتحتبس يشتمل هو أيضا على صوت العين، وحكاية زجر الإبل هي: « عيه عيه»[4].

- لفظ « **خرّ**» في قوله تعالى﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[5]، قال الزمخشري:« خرّ من السقف﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ وخرّوا لأذقانهم خرورا. وخرّ الماء خريرا وخرخر، وكذلك الريح والقصب، وقال العجاج:

---

[1]- الكشاف ، مصدر سابق، 328/1 و الزمخشري، الأساس، ص 643.

[2]- لسان العرب ، مصدر سابق، 5/ 1081، (ن ع ق). و الفراء، معاني القرآن ، 99/1.

[3]- صالح سليم عبد القادر، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، منشورات جامعة سبها 1988، ص71.

[4]- المرجع نفسه، ص61.

[5]- سورة الحج الآية 31

المنارة للاستشارات
www.m

لوذ العصافير ولوذ الدخل *** تحت العضاه من خرير الأجدل

من حفيف، وله عين خرارة في أرض خوارة »[1]. وقال محمود الطناحي: «..﴿ خَرَّ مِنَ السَّمَاء ﴾، سقط ويقال للحجر إذا تدهدى من الجبل خر يخُر خرورا بضم الخاء من يخر، وخر الماء يخِر خريرا بكسر الخاء وكذلك خر الميت يخر خريرا. وفي حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر إلا قائما. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: قد أكثر الناس في معنى هذا الحديث وما له عندي وجه إلا أنه أراد بقوله: لا أخر: لا أموت لأنه إذا مات فقد خر وسقط. وقوله: "إلا قائما" أي إلا ثابتا على الإسلام وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه»[2]. وقال ابن منظور في اللسان:«الخرير صوت الماء والريح والعقاب إذا حفت وقد يضاعف إذا توهم سرعة الخرير في القصب وغيره فيحمل على الخرخرة وأما في الماء فلا يقال إلا خرخرة ..»[3].

فالخرير صوت الماء والريح ولكنه أيضا للسقوط قال صاحب اللسان:« خر الحجر يخر خرورا: صوّت في انحداره بضم الخاء من يخُر، وخر الرجل وغيره من الجبل خرورا، وخر الحجر إذا تدهدي من الجبل»[4] .

وسواء الخرور الذي للحجر أو الخرير الذي للماء، فقد نصت الأقوال السابقة –كما في قول الطناحي وابن منظور– أن مادة (خرّ) حكاية لصوتي الماء والسقوط، وهي تعبر عن الاندفاع والجري، والجامع بين الاستعمالين هو وجود الراء التكريرية الدالة على الاضطراب والاهتزاز، ومن ثم جاء اللفظ دالاً على المعنى دلالة تستفاد من جرس الصوت وطبيعته النطقية. ويمكن أن نلحظ كلمات أخرى تشترك مع (خرّ) في انتهائها بالراء وتختلف عنها في الصوت الأول مثل (جرّ) و(كرّ) وهما كلمتان دالتان

[1]– أساس البلاغة، مصدر سابق، ص157-158

[2]– محمود الطناحي، من أسرار اللغة ، 495/2، وابن منظور، اللسان ، 221/3

[3]– لسان العرب ، مصدر سابق، 220/3.

[4]– المصدر نفسه، 220/3.

المنارة للاستشارات
www.m

أيضاً على الاندفاع والاضطراب، فصوت الحكاية إذن هنا هو الراء، ثم تأتي الأصوات التي تسبقها حسب الموضع[1].

والصوت الذي يدل على التهاوي والسقوط لا يمكن فصله عن معنى الخرير الذي للماء، وصوت الريح، وبذلك فهما وحدة صوتية واحدة متلابسه وإن كانت تلك الوحدة أحياناً تطلق على فعل المؤمن حين ينكب ساجداً لربه معترفاً بفضله؛ فالخاء بما فيها من دلالة صوتية على الانتشار والشيوع لرخاوتها، والراء بما فيها من دلالة صوتية على تكرار الفعل وجريانه واندفاعه، فإن اتحادهما في صيغة واحدة يؤكد ثبوت معنى التهاوي والحركة والانسياب والسجود، وكلها معان تتصاقب في دلالتها اللغوية مع طبيعة (خرّ) الصوتية .

- لفظ: " **صِرّ**" في قوله تعالى:﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]. إن مادة (صرّ) بأصواتها المجلجلة تستحضر معها قواصف الرعد، وزمجرة الرياح، وصقيع البرد، ووابل المطر والثلج، قال الزمخشري:« الصر: الريح الباردة، الصرصر وفيه أوجه.

1 –أن الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرة بمعنى: فيها قُرة صُر كما تقول برد بارد على المبالغة.

2 –أن يكون الصّرّ مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله.

3 –أن يكون شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم(أي المشركين) بالزرع حسّه البرد فذهب حطاماً»[3].

والصّرّ عند الإمام الفراهي: الجمع ثم الشدّ والعزم[4].

[1]– صالح سليم عبد القادر، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، مرجع سابق، ص 65.

[2]– سورة آل عمران الآية 117.

[3]– الكشاف، مصدر سابق، 457/1. والأساس، مصدر سابق، ص353.

[4]– الفراهي، مفردات القران، مرجع سابق، ص 292.

المنارة للاستشارات
www.m

وقال ابن منظور في اللسان: «..الصر بالكسر والصرة شدة البرد، وقيل هو البرد عامة.. وقال الليث: الصر البرد الذي يضرب النبات ويحسنه وريح صِرّ وصرصر: شديدة البرد وقيل شديدة الصوت.. وقال ابن السكيت: ريح صرصر فيه قولان: يقال أصلها صَرّر من الصر وهو البرد فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كما قالوا تجفجف الثوب وكبكبوا، وأصلهُ: تجّفف وكبّبوا ويقال هو من صرير الباب ومن الصّرة وهي الضجة»[1].

فالجرس الصوتي لمادة (صرّ) يدل على حالة ووصف هذه الريح التي تصطك معها الآذان وترتجف معها الأطراف، فإذا انضم إلى ذلك شدة الصوت أو صوت الصرير، كان ذلك دالا دلالة خاصة على أن هذه الريح لها أوصاف معينة.

فقد نقل ابن منظور عن ابن الأنباري، قوله في تأويل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾. قال: «فيها ثلاثة أقوال: أحدهما فيها صر أو برد، والثاني: فيها تصويت وحركة، وروي عن ابن عباس قول آخر" فيها صر" قال: فيها نار. وقال الزجاج: الصّرّة أشد الصياح تكون في الطائر والإنسان وغيرهما»[2].

إن ما أشار إليه ابن الأنباري فيما نقله عنه صاحب اللسان من أن (فيها صر) بمعنى: فيها تصويت وحركة، فجعل صِرّ مثل صرصر.. يوافقه فيه الزمخشري حين ذكر في تفسير قوله تعالى:﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[3]. ذكر ما مؤداه أن الصرصر: العاصفة التي تصرصر، أي تصوت في هبوبها [4]، وأضاف الزمخشري أن الصرصر: هو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض[5].

---

[1]- لسان العرب، مصدر سابق، 420/3.

[2]- لسان العرب ، مصدر سابق، 420/3.

[3]- سورة فصلت الآية : 16.

[4]- الكشاف، مصدر سابق، 449/3.

[5]- وقد ورد هذا المعنى عند الإمام الفراهي كما سبقت الإشارة (يُنظر: مفرادات القرآن، ص 292).

المنارة للاستشارات
www.

وربما يكون وصف الصّرّ بأنه صوت الريح محاكاة لصوت بعض الطيور كالجندب والبازي وغيرهما فقد ذكر[1] ابن منظور أنه قيل لامرأة: أي النساء أبغض إليك فقالت: التي إن صخبت صرصرت.. وصوت الطائر صوت وخص بعضهم به البازي والصقر..

وفي حديث جعفر بن محمد: اطلع علي ابن الحسين وأنا أنتف صراً. يقال صرّ العصفور يصر إذا صاح، وصر الجندب يصر صريراً، وصر الباب يصر..

وكل صوت شبه ذلك فهو صرير، إذا امتدّ، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف كقولك: صرصر الأخطب صرصرة، كأنهم قدروا في صوت الجندب المدّ وفي صوت الأخطب الترجيع[2] .

ومن شواهد مصاقبة اللفظ للمعنى دلالة حروف الزيادة في الصيغ الصرفية مثل الهمزة والسين والتاء، فقد توافرت بعض الأبنية والألفاظ في القرآن تشتمل على حروف زيادة، ثم إننا نجد ثمة مصاقبة بين هذه البنى وما تدل عليه من المعاني: مثل استعصم، استفزز، اسطاعوا، وغيرها.

- في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾[3].قال الزمخشري:«الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها، ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي، واستفحل الخطب»[4]. فالاستعصام في نظر الزمخشري هنا مبالغة يدل على الامتناع البليغ، وأما البناء الذي يدل على مطلق الامتناع فهو "اعتصم" قال ابن منظور:« اعتصم به واستعصم: امتنع وأبى، قال الله عز وجل حكاية عن امرأة العزيز حين راودته عن نفسه(فاستعصم): أي تأبى عليها ولم يجبها إلى ما طلبت»[5].

[1]- حُكي ذلك عن أبي العباس ثعلب.
[2]- لسان العرب، مصدر سابق، 420/3.
[3]- سورة يوسف الآية 32.
[4]- الكشاف، مصدر سابق، 318/2.
[5]- لسان العرب، مصدر سابق، 367/9.

المنارة للاستشارات
www.m

والحق أنه وإن كان "استعصم" بناء يحمل دلالة استعصى كما ذكر القرطبي[1] إلا أنه يتجاوزه في الدلالة على شدة الامتناع عن ارتكاب المعصية، ولنتأمل دلالة السين والتاء؛ السين في صفيرها الشديد الناشئ عن شدة احتكاكها بمجرى الهواء، والتاء الشديدة الممتنع معها النفس في الخروج من بين العضوين حين اتصالهما قبل الانفراج.. لنتأمل كيف تآلف ذلك وتصاقب مع معنى الامتناع الشديد. على أن بناء استعصم يدل – أيضاً– على معنى آخر تابع لمعنى الامتناع الشديد، وهو معنى طلب العصمة، ولعل ما يدل على ذلك هو ما ذكره الزمخشري في الكلام السابق عن الاستعصام: كأن نبي الله في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها، وقد عبر عن ذلك الزمخشري في الأساس بقوله:« دعي إلى مكروه فاستعصم أي أبى وطلب العصمة منه»[2].

- في قوله تعالى:﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[3] قال الزمخشري:« استفزاز إبليس هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوّت بهم صوتاً يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده ورجاله حتى استأصلهم..»[4].

فالاستفزاز –إذن– هو تصويت بإزعاج يقع من إبليس على من يغويه، غير أن هذا التصويت ليس تصويتا نابجا عن كلام وإنما هو دعاء واستخفاف باستخدام وسائل الإغواء والوسوسة وغيرها، ولكن خطره على قلب المستفَز ووقعه عليه، يشبه ما يقع من مغوار إذا واجه خصماً، فإنه ينطلق بصوته مدوياً وبرجاله وجنده فيقلق خصمه ويزعجه ويجعله يترك موقعه ويستجيب للاستفزاز قال ابن منظور:« استفزه الخوف أي استخفهُ، وفي حديث صفية: لا يغضبه شيء ولا يستفزه أي لا يستخفه ورجل فزّ:

[1]– الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، 111/5.
[2]– أساس البلاغة، مصدر سابق، ص 423.
[3]– سورة الإسراء الآية 64.
[4]– الكشاف، مصدر سابق، 256/2.

المنارة للاستشارات
www.m

أي خفيف»[1]. وقد نقل القرطبي في تفسيره أن الاستفزاز أصله القطع، ومنه تفزّز الثوب إذا انقطع والمعنى استزلّه بقطعك إياه عن الحق. واستفزّه الخوف أي استخفّه وقعد مستوفزا أي غير مطمئن[2].

وأما الدلالة الصوتية في تركيب (استفزز) فتظهر من خلال دلالة أصوات الزيادة (السين والتاء) وكذا دلالة الزاي؛ فأصوات الزيادة (السين، والتاء) بما فيها من صفير السين وشدة التاء، قد أضفت قوة على الأداء الصوتي، لأن صفتي الصفير والشدة من صفات القوة في الأصوات، ثم إن صفة الجهر في الزاي بالإضافة إلى الصفير تعد من أكثر الصفات قوة، فالجهر يحدث نتيجة لذبذبة الأوتار الصوتية مما يضفي على الصوت قوة إسماع عالية، وهو ما يسميه المحدثون بقوة الوضوح السمعي، وقد ذكر بعضهم[3] أن أصوات المد تزيد قوة إسماعها وانتظامها الموسيقي لكونها أصوات مجهورة، وهذا ينطبق على الزاي أيضاً وإن كان بدرجة أقل.

- في قوله تعالى:﴿ فَلاَ تسَمْعَ إلا هَمْساً﴾[4] قال الزمخشري:« (فَلاَ تسَمْعَ إلا هَمْساً) وهو الركز الخفي، ومنه الحروف المهموسة، وقيل هو همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت: أي لا يسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر»[5]. وقال ابن منظور:" الهمس الخفي من الصوت والوطء والأكل، وقد همسوا الكلام همسا وفي التنزيل(فَلاَ تسَمْعَ إلا هَمْساً) في التهذيب: يعنى به والله أعلم خفق الأقدام على الأرض، ويقال إنه الصوت الخفي، وفي الحديث: فجعل بعضنا يهمس إلى بعض؛ الهمس: الكلام الخفي لا يكاد يفهم، ومنه الحديث: كان إذا العصر همس. الجوهري: همس الأقدام أخفى ما يكون من صوت الوطء[6]. والهمس مصطلح من المصطلحات الصوتية التي أطلقها سيبويه على طائفة من الأصوات قال:

---

[1]- لسان العرب، مصدر سابق، 84/4، (ف ز ز). وأساس البلاغة، مصدر سابق،، ص 473. و الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، 127/2.

[2]- الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق، 178/5.

[3]- غالب فاضل المطلبي، الأصوات اللغوية ، ص25.. وينظر: أحمد مختر عمر، دارسة الصوت اللغوي ، ص 287.

[4]- سورة طه ألآية 108.

[5]- الكشاف، مصدر سابق، 554/2. وأساس البلاغة، مصدر سابق، ،ص 706.

[6]- لسان العرب، مصدر سابق،344/4 345 (هـ م س). و الفراء، معاني القرآن، 192/2.

المنارة للاستشارات
www.m

" فأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس[1] وأما المحدثون فيسمون الصوت الذي لا يتذبذب الوتران الصوتيان عند نطقه صوتاً مهموساً، فالهمس هو إخفاء الصوت[2].

ويُفهم مما سبق أن الهمس هو الصوت الخفي، ويتطابق في ذلك المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي وإن كان المعنى اللغوي يتضمن الدلالة على صوت أخفاف الإبل إذا مشت، وسواء أكان الهمس في موقف المحشر هو لخفق الأقدام كما نص على ذلك الزمخشري، أم لمطلق الصوت الخفي.. فإن تركيب (همس) بما اشتمل عليه من أصوات يدل دلالة صوتية على مؤداه الاستعمالي، ذلك أن الهاء صوت مهموس وقد قال عنه الخليل: ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء[3] وجاء في اللسان: قال سيبويه من الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء".[4]

كما أن صوت السين هو أيضاً صوت مهموس، فإذا اجتمع صوتان مهموسان في تركيب واحد وقد أطلقته العربية على الخفاء والخفوت، فإن ذلك يدل على تمام دلالة الجرس الصوتي للهاء والسين على معنى الخفاء .

- في قوله تعالى:﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾[5] قال الزمخشري في تفسير ذلك:« واستعار لذلك(غلبة الجد للهو) القذف والدمغ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه، فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه»[6]. فالقذف وهو شدة إلقاء الشيء والدمغ الذي هو محق الشيء استخدما هنا للدلالة على ما يلحقه الحق بالباطل من هزيمة إذا علاه وقهره كما عبر[7] الزمخشري في المفصل، وقال ابن منظور:« القهر والأخذ من فوق دمغ كما يدمغ الحق الباطل، ودمغه يدمغه دمغاً:

---

[1]- الكتاب، 434، ولسان العرب ، مصدر سابق، 345/4(هـ م س).
[2]- ينظر: غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية ، ص 102.
[3]- – العين، مصدر سابق، ص 64.
[4]- لسان العرب، مصدر سابق، 1/ 828.
[5]- سورة الأنبياء الآية 18
[6]- الكشاف، مصدر سابق، 566/2.
[7]- المفصل، ص 195.

المنارة للاستشارات
www.m

غلبه وأخذه من فوق وفي التنزيل﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ أي يعلوه ويغلبه ويبطله، قال الأزهري: فيدمغه فيذهب به ذهاب الصَّغار والذل »[1].

وأما الراغب الأصفهاني فذهب إلى أن الدمغ هو كسر الدماغ[2] وهذا أخذاً بظاهر اللفظ، غير انه لا ينفي ما أوردناه من معانٍ أخرى ذكرناها، ووجه مصاقبة اللفظ للمعنى تتجلى من خلال ما تتصف به أصوات الدال والميم والغين من قوة وضوح في السمع، وعلو في درجة الجهر، وكذا ما لشدة الدال من أهمية في الإيحاء بالقوة الغالبة والدفع العنيف، وذلك ما يظهر في الانفجار الذي يعقب حبس هواء الدال لفترة معينة، محدثاً صوتاً انفجارياً مزلزلاً. ثم يأتي صوت الميم الانسيابي الذي يتسرب معه الهواء من خلال تجويف الأنف محدثاً صفة الغنة التي هي نوع من الجهر الصوتي في الميم. وفي الأخير يأتي صوت الغين الرخو الذي تدل رخاوته على التلاشي والاضمحلال الذي يصيب الباطل بعد أن يصاب في مقتل؛ فالرخاوة بما هي تسرب للهواء من خلال ممرّ ضيق تشبه تلاشي الباطل وذهابه أمام سطوة الحق وغلبته ووضوح حجته وظهور برهانه.

وقد أورد القرطبي[3] في تفسيره للحق والباطل في الآية السابقة جملة من الآراء، بعضها يفسر الكلمتين بالقرآن والشيطان، وبعضها بالحجة والشبهة، وبعضها بالمواعظ والمعاصي، وكلها في الواقع معاني متقاربة.

- في قوله تعالى:﴿لا يَسْمعُونَ حَسِيسها﴾[4]. فقد فسرها الزمخشري بالصوت[5]، أي صوت النار وهو الحسيس، وذكر ابن منظور أن حسيسها هنا بمعنى حسها وحركة تلهبها، لأن الحسيس والحسّ بمعنى واحد عنده وهو الذي تسمعه مما يمر قريباً منك ولا تراه[6]. وفسر صاحب المصباح المنير الحسيس بأنه:

---

[1]- لسان العرب، مصدر سابق، 388/5 (د م غ).
[2]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 131.
[3]- الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق، 130/6.
[4]- سورة الانبياء الآية 102.
[5]- الكشاف، مصدر سابق، 2/ 585.
[6]- لسان العرب ، مصدر سابق، 163/4 (ح س س) .

المنارة للاستشارات
www.m

الصوت الخفي[1]، وعلى العموم فالحسيس أو الحس حكاية صوت النار وغيرها، غير أنه أنسب للدلالة على صوت النار، ذلك أن ما أخبر به الله عز وجل من أن أهل الجنة لا يسمعون حتى حسيس جهنم فيه دلالة على أن لجهنم حركة وحسّاً وصوتاً، قال الطناحي: الحسيس والحس الحركة[2]. والدلالة الصوتية للفظ حسيس تتمثل في اشتمالهِ على صوتي الحاء والسين المهموسين، والهمس لغة: ما خفي من الكلام، جاء في اللسان: " الهمس الخفي من الصوت والوطء والأكل، وقد همسوا الكلام همساً وفي التنزيل:﴿ فَلا تسَمْع إلا همَساً﴾ وفي التهذيب يعني به والله أعلم خفق الأقدام على الأرض..وروي عن ابن الأعرابي قال: ويقال اهمس وصهِ أي أمشي خفياً واسكت، وفي الحديث: فجعل بعضنا يهمس إلى بعض. الهمس الكلام الخفي لا يكاد يفهم ومنه الحديث:« كان إذا صلى العصر همس» قال أبو الهيثم: إذا أسر الكلام وأخفاه، فذلك الهمس من الكلام، قال شمر: الهمس من الصوت والكلام ما لأغور له في الصدر وهو ما همس في الفم[3].

إذا فالدلالة اللغوية للفظ همسً تدل على الخفاء، وقد مر بنا أن الحسيس هو ما تسمعه مما يمر قريباً منك ولا تراه، فناسب أي يكون صوتاً الحاء والسين المهموسان أي الخفيان دالين على الخفاء، لأن الاصطلاح الصوتي للهمس يحمل المعنى اللغوي لمادة (همس)، فعدم ذبذبة الأوتار الصوتية وهو ما يكون في حال الحاء والسين، من شأنه أن يجعل الصوت خفياً لا يُسمع له صدى أو وضوح في السمع، أو لا يسمع له رنين حين النطق به.

- في قوله تعالى:﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[4]. قال الزمخشري:« الدعّ: الدفع العنيف، وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم وزخّاً في أقفيتهم»[5]. وقال صاحب اللسان: دعّه دفعهُ في جفوة، وقال ابن دريد: دعه دفعه

---

[1]- الفيومي، المصباح المنير، ص 135.
[2]- الطناحي، من أسرار اللغة، 1/ 356.
[3]- لسان العرب، مصدر سابق، 4/344 345 (هـ م س).
[4]- سورة الطور الآية 13.
[5]- الكشاف،، مصدر سابق، 4/23.

المنارة للاستشارات
www.m

دفعاً عنيفا وفي التنزيل(فذلك الذي يدع اليتيم)؛ أي يعنف به عنفاً دفعاً وانتهاراً وفيه(يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً)، وبذلك فسره أبو عبيدة فقال: يدفعون دفعاً عنيفاً وفي الحديث: اللهم دُعّهما إلى النار جهنم دعاً. وقال مجاهد: دفراً في أقفيتهم.. الدع: الطرد والدفع [1].

وذكر القرطبي أن معنى(يدعّون) يدفعون إلى جهنم بشدة وعنف يقال: دععتُه أدعُه دعاً أي دفعته، ومنه قوله تعالى: ﴿فذلك الذي يدعّ اليتيم﴾ [سورة الماعون الآية02]. وفي التفسير:إن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم في النار دفعاً على وجوههم وزخا في أعناقهم حتى يردوا النار[2].

وأما الدلالة الصوتية للفظ (دعّ) فتظهر من خلال ما يتصف به صوت الدال والعين من قيم صوتية قوية تشير إلى قوة فعل الدفع وهي صفات الشدة والجهر في الدال؛ فقوة انفجار صوت الدال الناتج عن انحباس الهواء أو النفس لفترة معينة قبل العضوين المشكلين له، وكذا قوة جهر الدال الناتج عن ذبذبة الأوتار الصوتية.. كل ذلك يجعل من صوت الدال صوتاً قوياً. وأما العين فتتصف بالجهر والنصاعة والتردد بين الشدة والرخاوة أو التوسط، فالجهر في العين هو ذبذبةُ الأوتار الصوتية معها ذبذبةً عالية، وهو الأمر الذي يجعل منها صوتاً جرسياً كما عبر عن ذلك الخليل[3]، ووصفها بالإطلاق والضخامة والنصاعة.

هذا وفسر الزمخشري لفظ (يدُعُّ) في قوله تعالى:﴿فذلك الذي يدُعُّ اليتيم﴾[4] بمثل ما فسره به في الشاهد السابق حيث قال:(يدع اليتيم) أي يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى ويرده رداً قبيحاً بزجر وخشونة[5].

---

[1]- لسان العرب ، مصدر سابق، 78/5 (د ع ع).
[2]- الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، 41/9، وينظر: الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، 91/3.
[3]- العين، مصدر سابق، 1/ 53- 54.
[4]- سورة الماعون الآية 02.
[5]- الكشاف، مصدر سابق، 289/4.

المنارة للاستشارات
www.m

خاتمة

كانت الرحلة مع القيم الصوتية للأصوات وأثرها في بلاغة ألفاظ القرآن الكريم كثيرة الفوائد والفرائد، إنها رحلة كشفت عن خصائص القيم الصوتية لأصوات اللغة وأثرها في بلاغة القرآن الكريم.

وبعد أن تدارسنا نماذج وأمثلة عن قيم بعض الأصوات ودلالاتها وأثرها في البلاغة القرآنية في بعض مدونات التفسير واللغة ، يمكننا أن نخلص إلى جملة نتائج محددة:

1. إن لبعض الأصوات اللغوية صدى صوتياً سمعياً متفرداً وجرساً موسيقياً موحياً، تولد من طبيعة القيم الصوتية لتلك الأصوات، أو تولد من خلال التكرار الذي حصل لبعضها في بنية الكلمة أو اللفظة.. يؤدي ذلك إلى بناء دلالات خاصة، تتلائم مع طبيعة تلك القيم، في نحو ما رأينا في دلالات: الخوف والصراخ والزلزلة والكبّ والعنف والخصام.
2. إن الوضوح السمعي القوي التي تتصف به أصوات الصفير، يجعل لها وقعاً صوتياً مميزاً، تولد مما تختص به من رخاوة عالية، وضيق في مخرج النفس، وهو ما يُحدث صفيراً وأزيزاً مدوياً، يترك معه أثراً في النفس، ويحمل دلالات: الدعوة إلى الكفّ عن المنهي عنه، والإعلام بقبح اقترافه والتلبس به، لجلاء وظهور خطورته.
3. يوحي المدّ الصوتي في بعض ألفاظ القرآن بدلالات تتجاوز الإيحاء إلى إفادة المعاني البلاغية المتكاثرة، مثل ما يظهر في صيغ: الحاقّة، الطامّة، الصافّة، كافّة.. وغيرها. فالصدى الصوتي البعيد والمدوّي، المتولد من قيمة المدّ والاستغراق في طول صائت الفتحة.. يتفاعل مع النفس مترقباً للمجهول من الحقائق والمفاجئات والنوازل.
4. قد يكون للمسمى الواحد في القرآن ألفاظ متعددة، ذات قالب صرفي واحد، وذات نسق صوتي متشابه؛ فألفاظ: القارعة، الواقعة، الآزفة، الراجفة، الرادفة..كلها ألفاظ تدل بجرسها الصوتي على معان متعددة، ترتد إلى مسمى واحد وحقيقة واحدة هي يوم القيامة، وما يكون فيه من مشاهد القرع والفزع والمفاجئة وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

المنارة للاستشارات
www.m

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

1) أحمد عبد التواب الفيومي: **أبحاث في علم أصوات اللغة العربية** ، مطبعة السعادة، ط1، 1412هـ/ 1991م.

2) ابن جني: **الخصائص** ، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ/ 2003م.

3) الخليل بن أحمد الفراهيدي: **العين** ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة . إيران (قم) ط1، 1405هـ.

4) الراغب الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، تحقيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، د.ط، 1431 . 1432هـ/2010م.

5) الزمخشري: **أساس البلاغة** ، دار الفكر، د ط، 1420هـ /2000م.

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، دار الفكر، د. ط، 1428هـ/2008م.

- **المفصل في علم العربية**، دراسة وتحقيق: الدكتور فخر صالح قداره، دار عمار، ط1، 1425هـ/2004م.

6) سيبويه: **الكتاب** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت، ط1، د.ت.

7) صالح سليم عبد القادر: **الدلالة الصوتية في اللغة العربية** ، منشورات جامعة سبها 1988 م.

8) عبد الحميد الفراهي: **مفردات القرآن . نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية** ، تحقيق: الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م.

9) عبد الحميد هنداوي: **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، 1423هـ /2002م.

10) غالب فاضل المطلبي: **في الأصوات اللغوية . دراسة في أصوات المد العربية** . ، د. دار، د. ط، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.

11) غانم قدوري الحمد: **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد 1323هـ/ 2002م.
12) الفراء: **معاني القرآن**، عالم الكتب، ط3، 1403هـ/1983م.
13) الفيومي: **المصباح المنير**، دار الفكر، د. ط، د. ت.
14) ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن** ، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، د. ط، د. ت.
15) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ضبط ومراجعة: محمد صدقي العطار، دار الفكر، ط1، 1428هـ/ 2008م.
16) محي الدين رمضان: **في صوتيات العربية** ، مكتبة الرسالة الحديثة . عمّان د. ط، د. ت.
17) ماريو باي: **أسس علم اللغة** ، ترجمة: دكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1419هـ / 1998م.
18) ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق وتعليق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ /2005م.

المنارة للاستشارات
www.m